كتاب

ميرنا الشدياق

"مطعم فيصل" في كتاب لإيمان عبدالله: حكايات وأحداث وحنين إلى بيروت الحلم

لطالما جمعت المقاهي الثقافية في بيروت في ستينات وسبعينات القرن الماضي نخبة من المفكرين والادباء والفنانين، فضاءات لنقاشات سياسية وفكرية ضجت بها المدينة. من بين هذه المقاهي "مطعم فيصل" الذي تأسس بداية القرن العشرين في منطقة رأس بيروت، وتحديدا في شارع بلس في مقابل المدخل الرئيسي للجامعة الاميركية، وتجاوزت شهرته لبنان

هو الحنين الدائم الى بيروت، المتجسد في كل ذكرى تكتب او تحكى عن ذلك الزمن الذي كان فيه للكلمة رونقها وللفكرة اذنان تسمعان. ولأن كل ذكرى مرتبطة بمكان حيث تدور الاحداث، فان نجاح اي كاتب هو في نقل القارئ الى الشعور بروح الزمان والمكان، فتخرج الذكريات حية من تحت الركام. وهذا ما انشأته الكاتبة ايمان عبدالله في كتابها البحثي التوثيقي "مطعم فيصل مقابل الجامعة الاميركية في بيروت - ذاكرة المكان"، الذي يروي قصة مطعم دخل تاريخ الشارع والمنطقة والجامعة، والاهم الذاكرة. لم يكن مجرد مطعم يقدم وجبات غذائية ممتازة، بل كان ناديا فكريا وسياسيا وملتقى ثقافيا.

احد رواد المطعم الوزير السابق الدكتور كرم كرم تحدث الى الكاتبة عن المطعم، فقال: "الكلام عن فيصل كالكلام عن بيروت، تجمعنا كلنا في العشق بيروت، ولو كانت غالبيتنا من فئة عشاق الانتيكا. كسائر العاشقين نعشق حلما اسمه بيروت. هو صور تتوالى في الذاكرة، كأنها بكرة فيلم قديم بالابيض والاسود. كان فيصل ملتقى عاشقي بيروت من لبنانيين وعرب...".

ساهمت عوامل عدة في نجاح المطعم من بينها شخصية صاحبه وكرمه في الدرجة الاولى، من ثم جودة الاطباق وشخصية النوادل الذين اقاموا علاقات مميزة مع رواد المطعم، والاهم نوعية هؤلاء الرواد ذوي الاهتمامات الفكرية والاجتماعية والسياسية المتميزة والتي اعطت قيمة مضافة لهذا المكان من خلال النقاشات والحوارات، فتعدت وظيفة فيصل من مجرد مطعم الى ناد سياسي او مقهى ثقافي بين العشرينات والسبعينات، حيث كان شاهدا على الاحداث السياسية وتأثيرها في الجسم الطلابي.

في هذا السياق، قال سمير صنبر احد رواد المطعم في الكتاب: "كان دخول فيصل من النوع السهل الممتنع، مفتوحا للجميع. فهو محسوب للمدمنين من اهل البيت. توزيع الموائد معروف. التعرف الى الكل مفهوم، والحوار الدائم مفتوح للاخذ والرد - حقوق الرد".

وثقت عبدالله لذاكرة هذا المكان من خلال طريقتين: جمع معلومات وذكريات منشورة في كتب ومقالات عن فيصل ووضعتها في سياق الاحداث الاجتماعية والسياسية في تلك الفترة، وتأثيرها في الجسم الطلابي وفي تأسيس الحركات القومية الجامعي، وثانيا من خلال مقابلات اجرتها مع حفيدي المؤسس ومع شخصيات عرفت هذا المكان وشهدت له.

مرت عقود على اقفال مطعم فيصل ولم يغب عن ذاكرة الجامعة وخريجيها، ولا عن شارع بلس، ولا عن مثقفي رأس بيروت والعالم العربي. في النصف الثاني من الثمانينات اوصد المطعم ابوابه للمرة الاخيرة وتحول الى مطعم للوجبات السريعة.

عن هذا الكتاب، اجرت "الامن العام" حوارا مع الكاتبة ايمان عبدالله تحدثت فيه عن مراحل الكتابة والصعوبات التي واجهتها.

■ كيف اتخذت قرار الكتابة عن مطعم فيصل؟

□ اعمل في ارشيف الجامعة الاميركية في بيروت وهو مثابة مركز للدراسات والتحليل. خلال عملي سئلت مرارا وتكرارا عن معلومات عن مطعم فيصل الذي لم اكن اعلم عنه الكثير، فسألت نفسي مرارا ما سبب اهتمامهم بهذا المقهى؟ هل من قصة معينة تدفع بالناس الى السؤال عنه. عندها اتخذت عندها قراري بقراءة ما هو متوافر عن المقهى في الارشيف، حيث وجدت فقط مقالات منشورة تتحدث عن مطعم فيصل حيث المعلومات متشابهة. هذه القراءات حفزتني على الكتابة، اذ انه لم يكن مطعما عاديا بل تحول الى ناد او صالون سياسي، من رواده شخصيات سياسية ومفكرون وادباء وطلاب ذوو اهتمامات سياسية. عن تاريخ تأسيسه، ليس هناك من اثبات محدد الا ان التاريخ يعود تقريبا الى العام 1919. وبعد ان اجريت ابحاثا تبين ان هذا المطعم قد توارثته العائلة، فيما لم يتغير النوادل على مر السنين بعدما نسج رواد المطعم علاقة مميزة معهم.

■ كيف استطعت تحديد هوية الرواد وهل واجهتك صعوبة في الوصول اليهم؟

□ بدأت البحث عن مَن هم لا يزالون على قيد الحياة. وحصلت على ارقام هواتف احفاد المؤسس الذين لم يديروا يوما المطعم ولكنهم كانوا يرتادونه بصحبة والدهم، وقد اخبروني عن جدهم ووالدهم وعن ذكرياتهم حول شكل المطعم. احدهم يدعى توفيق سعاده وهو يحمل اسم جده الذي اسس المطعم والحفيد الثاني رجا سعاده، ومن ثم استطعت الوصول الى بعض الرواد. ساعدني كثيرا الصحافي الاستاذ سمير عطالله، وهو اول شخص تواصلت معه في خصوص الكتاب وسألته عن رأيه في الكتابة عن مطعم فيصل، فوجدها فكرة ممتازة وساعدني في الوصول الى عدد من الرواد.

■ من هم الرواد الذين قمت بالتواصل معهم؟

□ الوزير السابق الدكتور كرم كرم، بشارة مرهج، طلال سلمان، مروان زريقات وهو شخصية اردنية، سمير صنبر، معن بشور، فؤاد البوارشي، محمد الصباغ، وكانوا كلهم من الناشطين السياسيين.

■ متى راودتك فكرة الكتابة عن مطعم فيصل؟

□ اتت الفكرة في العام 2012، وفي العام 2017

الكاتبة ايمان عبدالله.

باشرت في اجراء المقابلات. قمت بابحاث عدة، من بينها البحث عن مذكرات شخصيات مرت على الجامعة الاميركية وكتبت عن المطعم. هذا الكتاب هو توثيق عن مطعم فيصل ويحتوي على بعض المقالات التي نشرت عنه. كذلك يضم معلومات قرأتها في مطبوعات الجامعة التي يصدرها الطلاب: مجلة الطلاب (outlook) واخرى لمتخرجي الجامعة الاميركية "الكلية" منذ تأسيس مطعم فيصل وما كتب عنه بين 1920 و1970.

■ متى صدر الكتاب؟

□ الكتاب من 200 صفحة، صدر في تشرين الثاني 2023 ويحتوي على صور عن المحيط وعن شارع بلس حيث يقع المطعم الذي يعد معلما من معالمه. عندما سألت نفسي هل من الممكن ان اكتب كتابا عن مطعم، وجدت ان المؤرخ الدكتور نقولا زيادة كتب عن هذا المكان اكثر من مرة، وكان من رواده. وقد اعرب عن امنيته بأن يبادر احدهم الى كتابة تاريخ المطعم. هنا قلت اذا تحدث مؤرخ عن هذا الامر، فلا شك انني لست مخطئة في قراري.

■ لماذا لم يستثمر الاحفاد مجددا في هذا المطعم؟

□ لقد تحول الى مطعم للوجبات السريعة. تخيلي ان هذا المطعم كان يوما ناديا سياسيا مهما وتحول الى الوجبات السريعة. كان شارع بلس يضم المقاهي الثقافية في وقت لا يزال هذا النوع من المقاهي قائما في فرنسا ويمتد تاريخ تأسيسها الى اكثر من 150 عاما حيث يوزعون فيها جوائز ادبية. اما في لبنان فقد اقفل هذا المطعم وغيره من المقاهي الثقافية وتحولت الى مطاعم وجبات سريعة.

■ كيف كانت لقاءاتك مع الرواد وما ابرز ما اخبروك به؟

□ الحنين كان واضحا لدى رواده عندما تحدثت اليهم، خصوصا وان اهمية هذا المطعم تكمن في وجوده قرب الجامعة الاميركية حيث انطلقت منها الافكار الليبيرالية وحرية التعبير، وحيث كان الطلاب يتناقشون في الجامعة بكل الافكار السياسية ويكملون هذه النقاشات في مطعم فيصل.

غلاف الكتاب.

■ ما ابرز ما كتب عنه؟

□ شهد المطعم احداثا عدة. على بابه تجمع الطلاب للمشاركة في الاحتجاجات في الخمسينات والستينات والسبعينات، وكتب الشاعر سعيد عقل نشيد "العروة الوثقى" فيه. من ابرز رواده المفكر منح الصلح الذي جعل منه مقره اليومي، وكانت تتحلق حوله شخصيات سياسية وفكرية للتداول في شؤون البلد والامة.

■ ما هي ابرز الصعوبات التي واجهتك في الكتابة؟

□ شخصيات عدة من رواده رحلت من دون ان يكون هناك اي صور توثق ارتيادهم المطعم. اما من التقيت بهم، فقد ولدت لديهم الذكريات الحنين حتى ان بعضهم ادمعت عيونهم عند سرد تلك الذكريات.

■ هل وجد هؤلاء الرواد بديلا من مطعم فيصل؟

□ لم يجدوا مكانا مماثلا له، لذا فهم يفتقدون اليه اليوم لاسيما انهم يعتبرون ان لا وجود اليوم لمقهى في لبنان يكون مثابة النادي الثقافي او الملتقى السياسي.

■ الى ماذا يرمز هذا المطعم وكيف اختلفت بيروت بين اليوم والامس؟

□ كانت بيروت في عصرها الثقافي الذهبي حيث كانت تناقش كل الافكار السياسية والعقائدية فيها، اما اليوم فقد خفت وهجها الثقافي. من الطبيعي ان يتغير العصر، ومن الطبيعي ان يساير الجيل الشاب روح هذا العصر. واذا قلنا اننا نقوم بتقليد الغرب في بعض نواحي الحياة، فان هذا الغرب الذي بدأت فيه التكنولوجيا وكل ما يتعلق بها لماذا لم تختف فيه النوادي الثقافية؟

■ كيف كانت ردود الفعل على الكتاب؟

□ الحنين الى بيروت القديمة حض القراء على طلب الكتاب بكثرة من خارج لبنان، فيما التفاعل معه في الداخل كان كبيرا جدا.